الكائنات العجائبية في الشعر الأموي

Powers and miraculous beings in Umayyad poetry

نشوة خليل ابراهيم
د. آن تحسين الجلبي
أستاذ مساعد
جامعة الموصل – كلية الآداب– قسم اللغة العربية

Nashwa Khalil Ibrahim
Dr. aan Tahseen Chalabi
Assistant Professor
University of Mosul - College of Arts - Department of Arabic Language

nashwakhaleel@gmail.com
annalchalabi@gmail.com

تاريخ الاستلام ٢٠٢٣/٤/١٦ تاريخ القبول ٢٠٢٣/٥/٢١

الكلمات المفتاحية: الشياطين، الجن، الكائنات العجائبية، الغول، الماورائية

Keywords: Demons, genies, supernatural beings, ghouls, metaphysics

الملخص

حاولت الدراسة في هذا البحث أن تبين اثر الكائنات العجائبية في النص الشعري ومدى فاعليته في الخطاب الشعري عند شعراء العصر الأموي من توظيف لتلك الكائنات الماورائية في اشعارهم ومنها (الشياطين، والجان) والكائنات الخرافية ومنها: (الغول، والسعلاة، وطائر العنقاء)، ومن ثم عرّجت الدراسة على اهم الأساطير والمعتقدات التي تأثر بها الشاعر الأموي من الموروث الجاهلي وبقي صداها في فكره وشعره، سيراً على نهجهم تقليداً ومحاكاةً لا إيماناً بها، إذ ركز البحث على اهم المعتقدات والأساطير والخرافات ومنها (شياطين الشعراء) واسطورة (الهامة والصدى) واسطورة (لُبد). وكان لابد لنا اولاً من مهاد تنظيري يوضح ويكشف ماهية هذه الكائنات التي يتأطر من خلالها النسقُ العجائبي في النص الشعري، وبما ان الإبداع الشعري، نُسِب في بداية امره إلى رموز او قوى غيبية توحي به إلى بني البشر، على الرغم من جهل مصدرها وكيفية نشوئها وتطورها، لذلك كان بديهياً أن يرجِع العرب قديماً الى الإلهام في تفسير بعض ما يرونه، فلم يجدوا أمامهم سوى الخيال والإبداع الشعري في تحديد ماهية هذه الكائنات العجائبية التي شكلت جزءاً كبيراً من موروثهم ومعتقداتهم، كونها مخلوقات لا يمكن رؤيتها او التعايش معها، فراحوا يصفونها في مخيلتهم ومشيرين إليها في أشعارهم. وقد تناول البحث نماذج من تلك الكائنات التي وظفها الشعراء في نصوصهم معتمداً على مبدأ التنظير ثم التطبيق بذكر الشاهد الشعري وتحليله وبيان أهم المظاهر الخارقة والعجائبية التي احدثها الشاعر في نصه الشعري وتبيان ما أحدثه من أثر في المتلقي من تردد وحيرة في تقبله لها وبذلك يتحقق العجائبي الذي يهدف إدهاش المتلقي.

Abstract

In this research, the study attempted to show the impact of miraculous beings on the poetic text, and the extent of their effectiveness in the poetic discourse of the poets of the Umayyad era, by employing these metaphysical beings in their poetry, including (devils, elves), or mythical beings, including (ghouls, the cough, and the phoenix).

Then the research dealt with the most important myths that affected the Umayyad poet from the pre-Islamic heritage, and their resonance remained in his thought and poetry, as a tradition rather than a belief in them.

The research focused on the most important myths and legends, including (the demons of the poets), the legend of (the important and the echo), and the legend of (Labad).

This required, first, a theorizing thalamus that clarifies the nature of these beings through which the miraculous pattern in the poetic text is framed. And since literary creativity was attributed at the beginning to symbols or powers that address human beings, they were ignorant of its source and how it originated and formed.

Therefore, it was axiomatic that the ancient Arabs would refer to inspiration in interpreting some of what they see, and they did not find in front of them anything but imagination and poetic creativity in determining what these miraculous beings were that formed part of their heritage and beliefs, because these creatures could not be seen or coexisted with them.

The research dealt with examples of those organisms that poets employed in their poetic texts. Relying on the principle of theorizing and then applying it by mentioning and analyzing the poetic witness,

and clarifying the most important miraculous images that the poet created in his poetic text.

And he showed the effect of the miraculous in the soul of the recipient, and the hesitation and confusion caused by his acceptance of the miraculous texts.

المقدمة

الكائنات العجائبية مخلوقات "أثيرية أو مخلوقات غيبية مستترة ذات قدرات خارقة لا وجود لها في الطبيعة، يظهر أثرها في نسبة كل شيء خارق للمألوف إليها، ويصفها من يؤمن بوجودها أو من زعم أنه رآها بصفات غريبة، وهي تثير مخاوفه لكونها كائنات تتجاوز حدود الإدراك الحسي، وذات قوى خفية ارتبطت بالخوارق والعوالم الغيبية والمنطلقات الماورائية، وقد شكلت هذه القوى الخفية لازمة من لوازم الفكر الأسطوري الذي يعمد إلى الأصل الحقيقي فيحيطه بهالة من المبالغات والتهويلات تخرجه من طور الواقع إلى طور الخيال" [(١)]، وفي التراث العربي وتحديداً في العصر الأموي الذي يعد امتداداً للعصر الجاهلي" استلهم الشاعر الأموي ذاكرته وطاف بها مؤسساً عوالمه المثيرة للجدل بصورها العجائبية لتحدد تمظهرات وجودها في المتن الشعري، وتعبر عن هاجس مغلق ينعش داخل أخيلة الشاعر، ومن ثمَّ تنعكس في حقله الإبداعي تشكيلاً وتدليلاً، مفارقة لكل ما هو طبيعي، ليستند الشاعر في خطابه على المخيلة التي تبيح الاستيهام والتعلق بكل ما هو فوق الطبيعي وحلمي "[(٢)].

إن الإبداع الفني والإنتاج الأدبي نسبه الاقدمون في بدايته إلى قوى روحية خارقة – باعتقادهم– فلما عجزوا عن تفسير ظاهرة الإبداع الشعري تفسيراً واقعياً، فلجأوا إلى تفسيرها أسطورياً وغيبياً، فشاع أن لكل شاعر شيطاناً يوحي إليه الشعر ويلقنه إياه [(٣)] .

كما اتخذ الشاعر العديد من الكائنات الغيبية (كالجن والشياطين) والخرافية كالعفاريت والغول والسعلاة والهامة والصدى وطائر العنقاء وغيرها من المخلوقات الغريبة وادخلها إلى عوالمه التخيلية الماورائية الخارقة وغير المألوفة؛ متخذاً من أشعاره أداةً للتعبير عما يجول بمخيلته، جاعلاً من الأساطير مادته الخام في تفسيرها [(٤)]، ومن أولى تلك المخلوقات:

---

(١) المخلوقات الخرافية في الشعر الجاهلي، عبد الرزاق خليفة الدليمي، كلية اللغات، جامعة بغداد، مجلة المورد، العدد الرابع، ١٩٩٨: ١٠.

(٢) العجائبي في الشعر العربي القديم، د. آن تحسين الجلبي، دار غيداء، للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٧: ٧– ٣٩ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣٧.

(٤) ينظر: الملائكة والشياطين والجان في الأدبين الجاهلي والإسلامي ،دراسة مقارنة بين الخرافة في الشعر الجاهلي والحقيقة القرآنية ، اسلام هاشم دباغ ، جامعة البهشتي ، ٢٠١٧م:٣٢.

أولاً: الشياطين

وفي معنى كلمة (شيطان) ما يشير إلى كل غريب وعبقري، فالشيطان هو متمرد فاسد يبتعد عن الخير وطريق الحق، وهو كل من خرج عن الطاعة، إذ هو" في الغالب صاحب الإغواء الذي يفتن الناس ويزين لهم سوء أعمالهم ". (١)

وقد ساد الاعتقاد بأن" الشاعر متصل بقوة سماوية عجيبة؛ إذ بدونها لا يستطيع أن يكون شاعراً عظيماً، وإن صلة الشعر والشعراء بالجن موروثات أسطورية لتفسير العبقرية الشعرية الغريبة والخارجة عن المألوف و الاستيعاب البشري لذا نسبها العقل العربي لهذه القوى الغيبية ليتمكن من تصديقها؛ إذ ارتبط هذا الموروث الأسطوري عامة عند القدماء بقوى غيبية وبالوحي والإلهام، فقول الشعر هو خارج نطاق الابداع البشري، ولا يدركها إلا من كان على اتصال بالآلهة، التي تبث الشعر" (٢)، فضلاً عن اعتقاد الإنسان بأن القوى الإبداعية التي تمنحها قوة خارجية غير بشرية هي التي تستأثر بالموهبة الشعرية وتوحي للشاعر بما يقول.

وقد نسب "عرب الجاهلية كل أمر غريب عجيب إلى الجن، وتخيلوا إن (عبقر) واديهم ومقامهم وقالوا في الأمر العظيم عبقري، فلا عجب بعد هذا أن يصلوا الشعر بالجن، ولا عجب أن يتخيلوا إن لكل شاعر شيطاناً يلهمه قول الشعر القريض وقالوا: إن للشعر شيطانين، أحدهما مجيد واسمه الهَوْبَر، والآخر مفسد واسمه الهوجل، وكانت عقيدتهم هذه حتى العصر الإسلامي، فقد روي أن رجلاً من تميم أتى الفرزدق وقال له: إني قلت شعراً فاسمعه قال: أنشدني، فقال:

ومِـــنهمُ عَمْـــرٌو المَحْمـــودُ نائِلُـــهُ كأنَّمـــا رَأْسُـــهُ طـــينُ الخَـــواتيمِ"(٣)

فضحك الفرزدق، ثم قال: يا ابن أخي، إن للشعر شيطانين يدعى أحدهما الهوبر، والآخر الهوجل، فمن انفرد به الهوبر جاد شعره، ومن انفرد به الهوجل فسد شعره، وقد اجتمعا لك في هذا البيت، فكان معك الهوبر فيأوله فأجدت، وخالطك الهوجل في آخره فأفسدت (٤) ويبدو أن شعراء " العصر الأموي في حديثهم عن علاقتهم بالشيطان تناولوه من رؤية

---

(١) شياطين الشعراء، دراسة تاريخية نقدية مقارنة، د. عبد الرزاق حميدة .جامعة القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الاولى، مصر، دار النشر، كلية دار العلوم:١٢٤.

(٢) العجائبي في الشعر العربي القديم:٤٤.

(٣) الأسطورة عند العرب في الجاهلية، د. حسين الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، ١٩٩٨م:٥٦.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٥٦.

أخلاقية، فنسبوا إليه كل شعر رديء ومقذع ومتضمن للهجاء وخارج عن تعاليم الدين، فهذان جرير والفرزدق المختصان بالهجاء اعترفا بان إبليس كان معينا لهما عليه" .[١]

يقول جرير :[٢]

إنـــي ليُلقـــي علـــيَّ الشـــعرَ مكتهـــلٌ مـــن الشـــياطين إبلـــيس الأبـــاليس

وجاء توظيف الشاعر لفكرة (شياطين الشعراء) في سياق النص، إذ يزعم أن الشياطين تلقي عليه الشعر وتلقنه إياه، وتعينه عليه مؤكدا قوله بأداتي التوكيد (إن واللام) في قوله (إني ليلقى) معززاً قدرته على هجاء خصمه بإلهام من إبليس الذي يعينه على قول الكلام الفاحشٍ متباهياً ومفتخراً بأن له شيطان مارد، إذ يقول: (من الشياطين إبليس الأباليس) جني يمده بالكلام، إذ إن عناصر العجائبي في البيت السابق ترتكز على المخالفة وخرق الواقع، فهو بذلك يقدم رؤية جديدة تجاه الحياة بأسلوب بعيد عن المألوف ومن ثمة يحدث التردد في زمن حصول الخرق وزمن قبوله لدى المتلقي.

ويتضح الحدث المغاير للمألوف في حوار الفرزدق مع (الشيطان) وهو كائن ماورائي، إذ يبدأ الشاعر بسرد قصته مع الشيطان وفق رؤية مخالفة للمألوف تشكل تفسيراً فوق الطبيعي للحدث متهماً اياه بإغواء الناس وإضلالهم ومن ثم هجاءه وإعلان التمرد عليه مصرحاً أن ابليس هو من أرضعه ذلك الهجاء ويشير الفرزدق إلى ذلك فيقول :[٣]

(١) العجائبي في الشعر العربي القديم:٥٠.

(٢) ديوان جرير، بشرح محمد بن حبيب ، تحقيق ، الدكتور نعمان محمد امين طه، الطبعة الثالثة، دار المعارف،٢٠٠٩م: ٥٣٣/٢.

(٣) ديوان الفرزدق، تحقيق علي فاعور، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان ،١٩٨٧م: ٥٣٩/٢.

أَطَعْتُــكَ يَــا إِبْلِــيسُ سَــبْعِينَ حِجَّــةً، فَلَمَّــا أَنْتَهَــى شَــيْبِي، وَتَــمَّ تَمَــامِي

فَــرَرْتُ إِلَــى رَبِّــي وَأَيْقَنْــتُ أَنَّنِــي مُــلَاقٍ لِأَيَّــامِ المَنُــونِ حِمَامِــي

وَلَمَّــا دَنَــا رَأْسُ الَّتِــي كُنْــتُ خَائِفــاً، وَكُنْــتُ أَرَى فِيهَــا لِقَــاءَ لِــزَامِ

حَلَفْــتُ عَلَــى نَفْسِــي لِاجْتَهَــدَنَّهَا عَلَــى حَالِهَــا مِــنْ صِــحْةٍ وَسَــقَامِ

أَلَا طَــالَ مَــا قَــدْ بِــتْ يُوضِــعُ نَــاقَتِي أَبُــو الجِــنِّ إِبْلِــيسُ بِغَيْــرِ خِطَــامِ

يَظُــلُّ يُمَنِّينِــي عَلَــى الرَّحْــلِ وَارِكــاً، يَكُــونُ وَرَائِــي مَــرَّةً وَأَمَامِــي

يظهر البعدُ العجائبي جلياً مِن خلال هجاء الشاعر لإبليس، إذ يبدو هجاءُ مغايراً لما أعتاد عليه الشعراء؛ إذ إن في شعر تلك الفترة يبدو نادراً وعجيباً أن يتجه الشاعر في الهجاء نحو شخوص ليست من عالم الشهادة. وتتراءى صورة إبليس في القصيدة على أنه ملهم الشعر العبقري، ولكن هذا الشعر يتسم بالشر، فهو شعر الهجاء، وتتراءى صورة الشاعر المتباهي بقوة شعره في الهجاء فهو سلاحه يسلطه على خصومه فيرهبهم، والصورة المستوحاة من الأبيات تتحدث عن ابليس وتودده وإغرائه وانجذاب الشاعر إليه في الماضي، وتمرد الشاعر عليه في الحاضر ووعيده له بالهجاء في المستقبل [1]. وفي ثنايا هذا تبرز حكايات موجزة في صور محسوسة عن علاقة إبليس بالأمم أو الأفراد وإغرائه لهم عبر الزمن الماضي، ومن هنا تتجاوز القصيدة الحادثة المفردة، ليتجاور فيها تأثيره الآني المحدد إلى تأثيره الشامل الممتد منذ الماضي.

إن " صورة إبليس في قصيدة الفرزدق مستوحاة من جانبين: أحدهما صورة الشيطان التقليدية في الشعر، وهي تتصل بكون الشياطين ملهمة الشعراء وصورة الشيطان في الشعر والأساطير العربية تنطبق على إلهام الشعر الجيد بغض النظر عن محتواه، والثانية هي صورة الشيطان في القرآن، التي ترتبط بالأفعال الشريرة والمعصية وإغواء البشر" [2]، استطاع الفرزدق من خلال توظيفه للمرجع الديني إنشاء نص جديد يخترق النص الأم ويبني عليه

(١) ينظر: الفرزدق وابليس، سعاد المانع، مجلة فصول، قراءة في الشعر العربي القديم، الهيئة المصرية العامة للكتابة، المجلد ١٤، العدد الثاني،١٩٩٥: ٨٦-٨٧ .

(٢) الفرزدق وإبليس: ٨٩.

،فصورة الشيطان في القرآن وإغواءه لأدم وطرده من الجنة ووسوسته لبني البشر أضحت حقيقةً مألوفة لتمثل الألفة هنا بأنها " القاعدة التي تجمع بين الفعل وطبيعته، فالعجائبي يعترف بالقاعدة من جهة ويدعو إلى الاعتراف بإمكانية اختراقه من جهة أخرى"(١) والاختراق يكمن في صورة ابليس في القصيدة على انه ملهم الشعر العبقري ولكن هذا الشعر يتسم بالشر فهو شعر الهجاء وتتراءى صورة الشاعر او صورة الذات المتحدثة في القصيدة على انها صورة الشاعر المتباه بقوة شعره في الهجاء.

ويبدو أن فكرة شياطين الشعراء بقيت راسخة في أعرافهم، إذ نجد صداها في شعرهم، وهذا ما يدل على اعتقادهم بهذه الفكرة حتى أصبح أكثر الشعراء، فضلاً عن شعراء النقائض يستأنسون بها في ذلك العصر ومن ضمنهم كُثير والكُميت، وذو الرمة، وابن ميادة (٢)؛ إذ نتعجب من الشاعر أبو النجم العجلي، فهو يتمادى في استئناسه بشيطانه خارجاً عما ألفه الشعراء بأن نسب الذكورة إلى شيطانه مفتخراً ومتباهياً بذلك النسب وهو ما يولد سؤالاً محيرا لدى المتلقي مستغربا من جنس الشيطان أهو ذكرُ أم أنثى؟ مؤكداً على إن لكل شاعرٍ شيطان، ولكن شيطانه مختلف، إذ جعل القوة للذكورة في شيطانه، فالشعراء يتسترون منه لقدرة شيطانه العجيبة على تلقينه الشعر، مثلما تختفي النجوم عندما يعلو القمر(٣)؛ إذ يقول:(٤)

إنـــي وكـــل شـــاعر مـــن البشَـــر شـــيطانهُ أنثـــى وشـــيطاني ذكـــر

فَمـــا رَآنـــي شـاعِـــرٌ إلّا اِستَتَـــرْ فِعـــلَ نُجـــومِ اللَيـــلِ عايَـــنَّ القَـــمَرْ

يؤكد الشاعر في بداية البيت بقوله (إني) فهو من بني البشر حاله كحال غيره من الشعراء، ولكنه تميز عنهم كونه يمتلك شيطانا فحلاً يلهمه جيد الشعر مما يجعل الشعراء تهابه وتتلاشى حضورهم بوجوده مثلما تختفي النجوم عندما يعلو القمر فشبه الشاعر نفسه بالقمر وبقية الشعراء بالنجوم والغرض من التشبيه هو الفخر والعلو والمدح بنفسه ، فقد اتخذ

---

(١) العجائبي والسرد العربي النظرية بين التلقي والنص، لؤي علي خليل، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ٢٠١٤م: ١٨٩.

(٢) ينظر: مرجعيات شعر الفرزدق: خالد فارس خليل الطائي: ١٢٣

(٣) ينظر: الحيوان، ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي– القاهرة: ١٩٨/١.

(٤) ديوان أبي النجم العجلي ، تحقيق: د. محمد أديب عبد الواحد ، مطبوعات مجلة اللغة العربية ، دمشق،٢٠٠٦م.:١٦٢.

الشاعر من الواقع الإنساني بقوله (من البشر) للعبور إلى عالم اللاواقع عالم الأساطير والمعتقدات الراسخة في مخيلته بقوله: (شيطاني ذكر)، على الرغم من أن موقف الشاعر من فكرة (شياطين الشعراء) يعد موقفاً تقليدياً لا يعكس إيماناً ويقيناً بها؛ إذ إنَّ الدين الإسلامي أبطل هذه المعتقدات، ولكن الشعراء الأمويين استطاعوا أن يستمدوا من المخزون المعرفي والثقافي في تشكيل الصور الشعرية ولاسيما ذات الطابع الأسطوري، من معتقدات وحكايات خرافية وصاغوها صياغة فنية وبرّزوا مواطن العجائبي فيها وتحويلها إلى صور إبداعية تزيد من شدة تأثيرها في نفس المتلقي وذلك بخروجهم عن المألوف بتوظيف عنصر الخيال وتقنيات العجائبي في النص.

ويمكن القول " إذا كان الشعر يحلق بجناحين من الخيال فقد حق للشعراء ان ينطلقوا مع خيالهم فينسبوا شعرهم الى قوى خارقة وراء حسهم وتصورهم هذه القوى شياطين الصق بالخيال وأدنى إلى الشعر من التحليل النفسي الذي يرجع الإنتاج الأدبي إلى العقل الباطن للشاعر نفسه"[١]. إن الشاعر الأموي لم يكتف بفكرة شياطين الشعراء لتنعكس من خلالها صورة العجائبي، بل راح ينهل من كائنات ماورائية أخرى آمن بها الشاعر، كما سنرى في معرض حديثنا عن (الجن).

ثانياً: الجن

وقف القزويني على مصطلح الجن ليبين ماهيته بقوله: " زعموا أن الجن حيوان ناري من شأنه أن يتشكل بأشكال مختلفة، واختلف الناس في وجود الجن فمنهم من ذهب إلى أن الجن والشياطين مردة الإنس، ومنهم من ذهب إلى أن الله تعالى خلق الملائكة من نور وخلق الجن من لهبها والشياطين من دخانها، وإن هذه الأنواع لا يراها الناظر، وانها تتشكل بما شاءت من الأشكال فاذا تكاثفت صورها يراها الناظر"[٢] بينما عرف ابن منظور الجن بقوله "نوع من العالم سموه بذلك لاجتنابهم عن الأبصار، ثم استخفوا من الناس فلا يُرون،

(١) شياطين الشعراء، احمد محمد الحوفي :٣٧.

(٢) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، الإمام زكريا بن محمد بن محمود الكوفي القزويني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى ،١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م: ٣٨٧-٣٨٨.

والجمع: جِنان وهم الجنة" [١] وبذلك فإن الجن هو " كل ما استتر عن الحواس من الملائكة والشياطين" [٢].

وقد استحوذ الجن بوصفها قوى غيبية على اهتمام الإنسان العربي قبل الإسلام وإثارة مخاوفهم كونها كائنات تتجاوز حد الإدراك الحسي، ولذلك حاول التقرب منها والتزلف اليها عن طريق القرابين والذبائح، ولعل سبب عبادتهم للجن اعتقادهم بوجود نسب يربطها بالله تعالى كما اخبر القرآن بذلك: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾[الصافات، الآية ١٥٨] وقد شكلت هذه القوى الخفية لازمة من لوازم الفكر الأسطوري الذي يعمد الى الأصل الحقيقي مُحاطاً بهالة من المبالغات والتهويلات تخرجه من طور الواقع الى طور الخيال[٣]، وعاش العرب في الجاهلية " في تلك الصحراء الرحبة الجديبة المليئة بالقيعان والوهاد والنجاد والتلال، فعندما يرخي الليل سدوله ويغمر الظلام والوحشة كل شيء ويسيطر السكون تتسلط الأوهام على أفقه الضيق ذلك الجاهلي وتتجسم المخاوف والأحلام على مخيلته المحدودة، فيدعي عندئذ أنه رأى الجن، وخالطها وقد يكون ذلك تثبيتاً لشجاعته وبرهاناً على شدة بأسه، ومنهم من يذهب أبعد من هذا فيقول أنه صادق الجن وخاصمها ونسل منها"[٤].

لم تختلف علاقة العرب بالجن بعد الإسلام عن قبله، فالعرب والرواة قد اهتموا كثيراً بتسمية الشياطين الذين كانوا يلهمون شعراءهم قبل النبوة وبعدها، فقد ورد في القرآن سورة باسم "الجن" أنبأت بأن الجن استمعوا للنبي وهو يتلو القرآن فلانت قلوبهم وآمنوا بالله وبرسوله، وعادوا فأنذروا قومهم ودعوهم إلى الدّين الجديد [٥] .

أما العصر الأموي الذي يعدّ امتداداً للعصور السابقة في كثير من جوانبه، وإن بدا عليه شيء من التغيير، عمًا كان عليه الاعتقاد بالجن في الجاهلية فقد تعددت صور الحديث عن الجن في هذا العصر[٦]، وقد ظلت أبعاد الحديث عن الجن عالقة في ذهن المبدع

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، اعداد وتصنيف : يوسف خياط ، دار لسان العرب –بيرو، الطبعة الثالثة،١٤١٤هـ مادة :(جنن).

(٢) تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، المطبعة الخيرية ، مصر ، ١٣٠٦هـ: ١٦٤.

(٣) ينظر: التوظيف الفني للمرجعيات في الشعر العربي قبل الإسلام، سامي جاسم محمد، كلية الآداب –جامعة الموصل أطروحة دكتوراه فلسفية في الادب العربي، إشراف :مؤيد محمد صالح اليوزبكي، ٢٠٠٨: ٤٣-٤٤ .

(٤) الاسطورة عند العرب في الجاهلية: حسين الحاج حسن: ١٢١ .

(٥) ينظر: التوظيف الفني للمرجعيات في الشعر العربي قبل الإسلام:٥٣.

(٦) ينظر: شياطين الشعراء: ٧٦.

العربي، متفاعلة داخل النص الشعري، وحاول أن يضفي على الجن صفات قدسية ، ومما ينسب للجن القوة والسرعة، كونها مخلوقات لا بصرية فقد وظفها الفرزدق في شعره، متعجباً من قوة الجن وسرعته[١]، إذ يقول[٢]: –

فَضَـــلنا بثنتـــينِ المعاشـــرَ كُلّهُـــم بـــأعظمِ احـــلامٍ لنـــا وجفـــانِ

جبـالُ إذا شـدّوا الحُبـى مـن ورائِهـم وجـــنٌ إذا طـــاروا بـــكلِّ عِنـــانِ

إن الحدث العجائبي الذي برّزه النص من خلال مدح الشاعر المنفرد بهم والمفرط بالمبالغة والتهويل أدى الى خروجه عن المدح المألوف والمتعارف عليه عند بقية الشعراء إذ جعل رجاحة العقل وسعة قصاع الطعام من خصالهم وهم منفردون ومتعالين على الناس بهذه الخصال وزاد من مدحه الذي أحدث خرقاً " بقوانين جديدة تعارض قوانين الواقع التجريبي"[٣] وذلك باستخدام تقنيات العجائبي وتوظيفها في السرد الشعري للنص؛ إذ يشبه قوة قومه في القتال بقوة الجن كما استعار من الجن السرعة، وهي رمزُ لسرعة إقدامهم في الحرب وعدم خوفهم من أعدائهم، فالشاعر يوظف أسطورة الطيران في شعره ويجعلها من صفات الجن وهي صفات منحدرة من فهمهم لها في ذلك الوقت، وان الجن خوارق للعادة لا يمكن لأحد ان يمتلك صفاتها الا إذا ركبته الجن واذهلت عقله فتجعله يتصرف بغرابة، والعجيب يكمن لدى المتلقي بين الحيرة والتردد "باعتباره ذلك الأثر النفسي الذي يستشعر به المتلقي فيتذوقه استحساناً أو استنكارا ويتلذذ به ويعشقه فهو الجميل الخارق" [٤] وإن جمالية الشعر تتحقق بخروجه عن المألوف ليبعث في نفس المتلقي التلذذ ويؤثر فيه كالسحر فكلما كان الشعر أغرب كان إلى النفس أقرب.

(١) ينظر: مرجعيات شعر الفرزدق:١١٤.

(٢) ديوان الفرزدق: ٢ /٤٠١.

(٣) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتب، بيروت –لبنان، ١٩٨٥م:١٤٦.

(٤) الرحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتلقي، خالد التوزاني، دار السويدي للنشر والتوزيع، ابو ظبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م: ٣٨.

وقد عبر الشعراء عن صدى اعتقادهم بعزيف الجن في أشعارهم وأنهم يسمعون أصواتها، ومنهم الراعي النميري ؛إذ يقول:[١]

وَداوِيَّـــةٍ غَبـــراءَ أَكثَـــرُ أَهلِهـــا عَزيـــفٌ وَهـــامٌ آخِـــرُ اللَيـــلِ صـــائِحُ

اقـــر بهـــا جأشـــي تـــأول ايـــةٍ ومـــا مضـــي الحســـام غمـــده متصـــايحُ

إن تضافر الألفاظ التي استعملها الشاعر على خلق جو من الرهبة والوحشة على المكان من خلال عزيف الجن الذي زاد من فزعه وهو يصف رحلته في (الداوية الغبراء) الصحراء الموحشة في الليل ينعب في جنباته البوم ويبعث صدى الهامة هاجس الرعب فيه مشيرا إلى أنه لا إنسية فيه وخالٍ من غيره ليكون وجوده في ذلك المكان ضرباً من الشجاعة لا يقدر عليه كثيرُ من الناس معترفا أنه ما يربط على جأشه (قلبه) ويهدئ من روعه وخوفه بأن حسامه لم يستقر في غمده بل سوف يحمي نفسه به ويزيل عنه الخطر(وما مضي الحسام غمده)، فالشاعر "يعتزل عالمه الإنساني منطلقا لوحده مع ناقته في تحدي للذات والصحراء فهو يسير بخوف وعدم دراية في عالم لا نهائي خارج عن المألوف تملأه اصوات الجن التي التحمت مع أصوات حركة الرمال وتقلبها على بعضها وصوت (البوم) طائر الليل الذي يبعث على الشعور بالخوف فضلاً عن ظلمة الليل والقلق من المصير المجهول الذي جعل الشاعر يدخل في حالة من اللاوعي يتداخل فيها المرئي واللامرئي فيخيل إليه سماع أصوات ويرى أشياء لا حقيقة لها ناشئة من شدة خوفه، وقد ذكر المسعودي "أن هذه الاعتقادات والتصورات تعود إلى جبن الإنسان حين يكون في الأماكن المقفرة والموحشة، فإذا هو جبن داخلته الظنون والأوهام الكاذبة فصُورت له الأصوات ومُثِلت له الهيئات"[٢]

ولشعراء الصعاليك في العصر الأموي حديث مسهب عن الجن، فالشاعر عبيد بن ايوب العنبري ويكنى بأبي المطراب او المطراق " اخذ الحديث عن الجن مساحة واسعة من شعره فأشار إلى صلاته بها إشارات كثيرة تدل على الاقتناع الوجداني بهذا التصور والاقتناع الحسي بما اثر هذا التصور في نفسه وما يثيره من خيالات حالمة في أفكاره، ولعل القدرة البارعة في تصوير ذلك وما يرافق هذا الحديث من وساوس وأوهام جعلته بمستوى غيره من

(١) ديوان الراعي النميري، شرح وضاح الصمد، دار الجيل ،بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م: ٢٦٨.

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ابو الحسن المسعودي ، تحقيق : يوسف أسعد داغر، دار الأندلس للطباعة والنشر ،بيروت–لبنان، الطبعة الرابعة ، ١٩٨١م: ٢/ ١٣٩.

الشعراء كالشنفري وتأبط شراً وبقية الصعاليك الذين حفلت أشعارهم بأمثال هذه الأخبار لأنه وقع في إطار الظروف النفسية والاجتماعية والاقتصادية التي وقع فيها أولئك الصعاليك" [١]، كما انتخب لنفسه مجتمعا مغايرا لمجتمع البشر مجتمعا تحيطه الوحوش والجان والغول والسعالي وغيرها من الكائنات غير المألوفة سابقاً ،مجتمعاً بديلاً يختاره بإرادته، ويتحرر فيه من سلطوية الآخر، وتتفاعل فيه الذات مع البيئة تفاعلاً يخلق عالماً تذوب فيه المتناقضات[٢].

إذ يمتلك العنبري شخصية متذبذبة قلقة ملأها الرعب والقلق النفسي مما يحيطه ، فاختار الهرب والانقطاع عن الناس، والعيش في البلد القفر والمكان الخالي وألف الحيوان، وأصبح لا يأمن إلا بمصاحبته وسماع صوته، بل أنه أصبح حليفا للجن، وهذا نوع من الاضطراب في السلوك البشري فقد يلجأ إلى الهرب أو الاستسلام أو التحدي [٣] ويعتمد ذلك على طبيعة العامل المثير وقدرة الذات البشرية على المواجهة والأساليب المتاحة لها؛ إذ يقول [٤] :-

وَسِـــرتُ بأوطـــاني وصـــرتُ كَـــأَنَّني كَصَـــاحِب ثَقُـــل حُـــطْ عَنْـــهُ مَثاقِلُـــه

ألـــم ترنـــي حالَفـــتُ صَـــفَراءَ نَبعَـــة لَهـــا رَبَـــدَيٌ لَـــم تُفلّـــل معابلـــه

وَطـالَ احتضـاني السَّـيْفَ حَتَّـى كَأَنَّـهُ يُنَـــاطُ بِجِلـــدِي كَشَـــحُهُ وَحَمَائِلُـــه

أخـو فَلَـوات خَـالَفَ الجِـنَّ وَانتَفـى مِـنَ الْإِنـــسِ حَتَّـــى قَـــد تَقَضَّـــت وَسَـــائِلُه

تبلغ العجائبية قمتها في شعر(العنبري) من كمية الإيحاءات الموجودة في النص من خوف وتشرد إذ إنه يصور ذعره وتوجسه وتأبده في الخلاء حتى رافق الحيوان والجن، وانس بها واكتسب عاداتها وشاكلها في هيئتها مع انه ليس منها ،وكيف انه كان حذراً متسلحاً بقوسه وسيفه تهيباً من الخطر، وتأهباً لدفع كل شر وإنما أراد بذلك الوصف والإيحاء تحقيق غايته وايصال رسالته بصورة شعرية رمزية، ويبني تلك الصورة حينما يحول ما في ذهنه الى لغة

(١) العجائبي في الشعر العربي القديم: ٦٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٧.

(٣) ينظر : شعراء أمويون: دراسة وتحقيق: د. نوري حمودي القيسي، جامعة بغداد، ط١، ١٩٧٦م: ٢١٩.

(٤) المصدر نفسه :٢٢٠.

شعرية يطالعها المتلقي فيكشف ما فيها من صور نشأت من معطيات متمثلة ب(بأوطاني، احتضاني السيف، حالفت صفراء) ومن ثم تحويل هذه المعطيات بالتضخيم إلى صورة عجائبية تمثلت بـ (محالفة الجن دون الإنس ومتخذا الصحراء الموحشة سكناً له يأمن به دون وطنه وقبيلته)؛ إذ أثار الشاعر في هذه الصورة طاقة انفعالية توحي بالفزع والخوف في نفس المتلقي، فضلا عن عنصري الدهشة والغرابة من قوة جأش هذا الشاعر بأنه يتحالف مع الجن ويأنس لها فتشكل "الصورة في النص نمطا إيهاميها؛ اذ تخالف الواقع بما فيها من إطلاق وسعة الخيال وانحدار في عالم الحلم والغرابة والدهشة ،إنها تغرب القارئ وتدهشه وتذهله وتقنعه فنياً لا عقلياً" (١) وهذا ما تبين في نص الشاعر، إذ ثمة أزمة نفسية كان يعاني منها الشاعر من قلق، وخوف و مطاردة، أثرت بذلك على حياته إذ أدخلته في حالة من شعور لا طبيعي(٢) وفيه شيء من الغرابة والدهشة فهو " إن أبدى ظاهراً عدم المبالاة وعدم الخوف من الوحوش، الا انه كان يخفي في داخله كماً هائلاً من الهواجس والقلق" (٣) ،وهذا ما جعل من شخصية العنبري المضطربة المليئة بالصفات الخارجة عن المألوف أن تثير الدهشة والعجب في نفس المتلقي.

ثالثاً: الغول

وهو" صنف من أصناف الجنّ فالغول ذلك الحيوان الأسطوري الذي يعد من أشهر انواع الجن وكل ما أغتال الإنسان فأهلكه فهو غول (٤)، كما زعموا أنه " حيوان مشوه لم تحكمه الطبيعة، وانه لما خرج مفرداً لم يستأنس وتوحش، وطلب القفار، وهو يناسب الانسان والبهيمة، وانه يتراءى لمن يسافر وحده في الليالي واوقات الفلوات، فيتوهم أنه إنسان فيصد المسافر عن الطريق" (٥) والتغول التلون،" ويُقال: تغولت المرأة إذا تلونت غالته غول إذا وقع في مهلكة، ولقد عرفت الغول بتلونها وإيذاء الناس وترويعهم ومورد هلاكهم، لذا وصفوا الدهر بها، وشبهوا حدثانه بها، وصوروا الحرب بأنها غول ولذيوع شهرتها تنوع الأساطير والخرافات

(١) الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نؤاس، ساسين عساف، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٢: ٣٢.

(٢) ينظر: الشعراء الصعاليك في العصر الأموي: حسين عطوان، دار المعارف، ١٩٧٠م: ١٤١- ١٤٢ .

(٣) العجائبي في الشعر العربي القديم :٦٩.

(٤) شعر ابن مقبل دراسة تحليلية نقدية، عبد الله الفيفي: ١٥٩.

(٥) في طريق الميثولوجيا عند العرب: ٢٢٢.

الواردة عنها اختلف الشعراء في تصويرها، وبما أنها غريبة في أشكالها وأطوارها فلابد أن يكون لطريقة قتلها فن خاص " [١]، ومما يمكن الإشارة اليه هو أن "الاعتقاد بالجن والغول ظهر عند شعراء الصعاليك بالدرجة الأولى ويعزّي سبب ذلك هو اتخاذهم الصحاري والقفار سكناً يعيشون فيه مبتعدين عن الناس، وذكر صحبتهم للجن والغول ومعاشرتهم ومخالطتهم مفاخرة بشجاعتهم وقدرتهم على ما يعجز عنه الناس ومما زاد في قولهم لمثل هكذا شعر هو احساسهم الداخلي بالخوف والوحدة والقلق النفسي فكلما شعر الإنسان بذلك انتابته ملكة بيانية وقدرة خارقة على التخييل والأبداع اعانته الجن والشياطين على ذلك ، ويعد الشاعر ابي المطراب عبيد بن أيوب العنبري من أكثر من ذكر رفقته للغول" [٢]، يقول :[٣]

يَقــولُ وَقَــد أَلمَمــتُ بِــالإنسِ لَمَّــةً مُخَضَّــبَةُ الأَطــرافِ خُــرسُ الخَلاخِــلِ

أَهَــذا خَليــلُ الغــولِ وَالــذِّئبِ وَالَّــذي يَهــيمُ بِرَبّــاتِ الحِجــالِ الهَراكِــلِ

رأتُ خَلْــقَ الأدراس أشــعث شــاحباً علــى الجــدب بســاماً كــريم الشــمائل

تعــود مــن آبائــه فتكــاتهم وإطعــامهم فــي كــل غبــراء شــامل

تنعكس الألفاظ على نفس الشاعر، وتحاول رسم حركاته النفسية بكل دقة، فهذه الألفاظ مثل: خرس – الغول – الذئب – أشعث – شاحب – جدب – توحي بالكآبة والتمزق الداخلي، بسبب ظاهرة الغياب غياب الوطن والقبيلة وفقدان الأهل ، إذ تعد الصورة التي رسمها الشاعر في لوحته الشعرية منافية للعقل والمنطق نحو اللامعقول فهي قائمة على تجاوز المألوف وتأكيدا على الفعل، إذ لم يصف الشاعر السمات الخارجية لتلك الكائنات الآ أن الفعل استدعى شكلاً خارجياً عجائبياً مخالفاً للمألوف فحوله الى كائن غير واقعي، هذه الصفات اضافت اليه القوة والجلد التي يحتاجها وهو وحيد في الفلاة على الرغم من سيطرة الخوف عليه، وهربه وبعده عن الناس وترك الفتهم متخذاً من الغول والوحوش صحبة بدلاً عنهم، " إذ لا تعد هذه الصفات خرقاً قطعياً للواقع ولم تفارقه كثيراً فالعناصر التي استند إليها مبدأ الصحبة تولدت من معطيات البيئة ومن والواقع الذي يحيط به أضفت عليها بعدا عجائبياً مما يجعل المتلقي يرسم في ذهنه شخصية غير مألوفة فيكون الفعل مركزاً للعجائبي الذي

(١) العجائبي في الشعر العربي القديم:٧٠.

(٢) المصدر نفسه:٧١.

(٣) شعراء أمويون:٢٢٠.

يهدم عالم الواقع ويبني عالماً مغايراً يثير القلق والإدهاش والتوهم، لأن الذات لم تستوف ممكنات حريتها في العالم الإنساني" [١] ، إن حديث العنبري عن الغول على الرغم مما تتصف به من غدر وتوحش له دلالة كبيرة في نفسه، وله أكثر من معنى في حياته الحافلة بالبؤس، المليئة بالغدر المضطربة بأحاسيس الترصد والترقب والحذر.

رابعاً: السعلاة:

وهي من الكائنات العجائبية (الماورائية)، التي أُختُلف في تحديد ماهيتها، يقول الجاحظ، "السعلاة أسم واحدة من نساء الجن تتغول لتفتن السّفار " [٢] ، في حين يرى الدميري "إنها أخبث الغيلان، وأنّ السعالي سحرة الجن، وأن السعالي ما يتراءى للناس بالنهار والغول ما يتراءى للناس بالليل"[٣] ،أما القزويني فيرى السعلاة "نوع من المتشيطنة متغايرة للغول.، وإنها أكثر ما توجد في الفيافي، وإذا ظفرت بإنسان ترقصه وتلعب به... ويذكر أن الذئب يفترسها فتستغيث، آلا أن القوم يعلمون أنها السعلاة فلا يغيثها أحد فيأكلها الذئب" [٤]، وزعم العرب " أن لون الجن أبيض وإن هيئتهم تبعث الرعب والمخافة، ولهذا ارتبط الخوف والرعب بالجن والسعالي، فهم يسمون ما يتراءى للمُتغرّب (نار السعالي)، وكثر في شعرهم تشبيه ما يكره ويستبشع بالغول والسعلاة: (ونساء كأنهن السعالي) بل عمدوا الى تشبيه الفرسان عند الاعتداد او التخويف منهم بالسعالي" [٥]، بينما يعتقد البعض أن للسعالي جحور كما يُفهم من قول الأحيمر السعدي:[٦]

(١) العجائبي في الشعر الجاهلي، إيناس سلمان عبد المجيد سليمان، أطروحة دكتوراه ،٢٠٢٢م: ٣٩.

(٢) البيان والتبيين :٧٢/٦.

(٣) حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد موسى الدميري، تصنيف أسعد الفارس ، دار طلاس للترجمة والنشر، دمشق، ١٩٩٢ :١٦٨/٢.

(٤) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، القزويني: ٣٧٠.

(٥) شعراء الجن في التراث العربي الإسلامي، د. عبد الله سليم الرشيد، كتاب المجلة العربية، العدد ١٨٦، الرياض،١٤٣٣ هـ : ١٨.

(٦) شعراء امويون: ١٥٦.

بأقـــبَ منصـــلتِ اللّبـــان كأنـــه سـيدُ تنصّـــل مـــن جحـــور ســـعالي

فالشاعر كونه من شعراء الصعاليك اللذين اتخذوا من الصحاري ملاذاً آمناً لهم خارجين عن كل ما هو مألوف من حيث فضاء الصحراء اللامحدود الذي يعبر عن سير الشاعر نحو المجهول والليل السرمدي الموحش الدامس المخيف الذي يملأه صوت عزيف الجن، والجحور هي (المغارات) التي ملأت بالسعالي، فالعجائبي يكمن في تصور الشاعر الذي لا يخلو من المبالغات في حديثة عن السعلاة ولقائه بها في الفلوات والأماكن التي لا يرتادها أحد، بل وتجاوز ذلك حد اللامعقول بأن جعل للسعالي جحوراً وكأنه ألفها وألِف أماكن وجودها.

والسعلاة هي والغول على سواء وتشابه، وربما الفرق بينهما أن الغول يدل على الذكورية والسعلاة تدل على الأنوثة فالسعلاة أنثى الغول، وقد وظف الفرزدق السعلاة في شعره[١]، إذ يقول: [٢]

إنّـــا لِنَنـــزِلُ ثَغـــرَ كُـــلِّ مَخوفَـــةٍ بِالمُقرَبـــــاتِ كَـــــأَنَّهُنَّ سَـــــعالي

قـــوداً ضَـــوامِرَ فـــي الرُكـــوبِ كَأَنَّهـــا عِقبـــــانُ يَـــــومِ تَغَـــيٍّمٍ وَطِـــــلالِ

يجول الشاعر في عوالم غير مألوفة يستمدها من معتقدات أسطورية لتتجلى في الأبيات مجاورة المألوف وغير المألوف، حيث السعالي، والضوامر، والعقبان. إنه يشبه الجياد بالسعالي، فهم يحمون الثغور ويخوضون غمار الحروب بهذه الجياد الشبيهات بأنثى الغول؛ إذ يستثمر الفرزدق تقنيات العجائبي في شعره بهذا التشبيه الذي خرج عن المألوف في كون المشبه كائن مرئي (الجياد) والمشبه به كائن غير مرئي (السعالي) وان توظيف هذه المرجعية تشبيه الجياد بالسعالي مرتبط بشعر ما قبل الإسلام وإنما أراد الشاعر بذلك لإضفاء بعد معنوي ودلالي يحاول ايصاله للمتلقي وفي صورة تبين أثر هذه المخلوقات عليهم ؛ اذ يقول أن هذه الجياد ضامرات في ركوبها كالصقور التي تنقض على فرائسها في يوم غائم كثير الندى، وهو تشبيه يكاد يكون عجائبياً وأسطورياً في توصيفه للحظة الانقضاض وسرعة المناورة والهبوط والالتحام[٣]. والملاحظ على العجائبي هنا لا يحمل النفس المرعب والمخيف، بل يزاوج بين الصورة المقتمة (بالمقربات كأنهن السعالي) والصور المشرفة (كأنها عقبان) ولعل

(١) ينظر: مرجعيات شعر الفرزدق: ١٢٠

(٢) ديوان الفرزدق : ٢ /٢٢٢.

(٣) ينظر: مرجعيات شعر الفرزدق: ١٢١.

هذا من مميزات العجائبي في السرد الشعري العربي، إذ لا يعتمد على مشاعر الخوف والرهبة التي يثيرها في نفس المتلقي فقط، بل يستثمر كل ما هو غير معقول التفسير وان كان يحمل بين جنباته صورا عجائبية مشرقة كما وردت في نص الشاعر.[١]

بينما يفتخر العنبري بنفسه، ويجعل من الوحوش والغيلان والسعالى مصدراً للقوة والتباهي ولا عليه في ذلك، فمن استطاع معاشرة هذه الهوام لابد له من قسط كبير من الشجاعة التي يتميز بها عن باقي البشر فهو يرد على كل من يستهين به انه لو لاقى ما لاقته عينه، لجنّ جنونه من الهول، والرعب، حيث الذئاب والغول والسعالي بمكان قفرٍ لا انيس له سواهم والليل دامس، وصوت عزيف الجن زاد من وحشة المكان[٢]، يقول في ذلك[٣]:-

وســـاخرةٍ منـــى ولـــو أن عَيْنَهَـــا رأت مَـــا أَلاقيـــهِ مِـــنْ الهَـــولِ جُنَّـــتِ

أَزَلُّ وَسَـــــعْلاَةٌ وغـــــول بقفـــــرَةٍ إذا الليـــلُ وَارَى الجـــن فيـــه أرنـــت (*)

لقد برع الشاعر في توظيف المفردات خدمة لدلالة النص والمعنى الذي قصده خرج الى إحداثِ الدهشة والغرابة في ذهن المتلقي، إذ كيف بإنسان طبيعي أن "يرى الجن ويسمع اصواتها وعزيفها في انحاء الليل" [٤] ويواجه كل هذه القدرات الخارقة بكل فخر وكبرياء متخذاً من الفلوات ملاذاً آمناً له، غير مبالٍ بالمخاطر التي تحيط به، وهذا ما يؤكد على الغربة النفسية التي كان يعيشها الشاعر التي جعلت منه إنساناً خارقاً يأنس الوحوش ويستمد قوته منها، وهذا مما يزيد الأمر غرابةً في نفس المتلقي.

---

(١) ينظر: العجائبي في السرد الشعري الحديث :٧١

(٢) ينظر: رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية، مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م: ٣٧٩- ٣٨٠.

(٣) الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، حسين عطوان ١٤٤.

(*) الأزل، من صفات الذئب، ارنت الجن: صوتت.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٤٤.

خامساً: الهامة والصدى:

وهي من المعتقدات الخرافية ذات البعد الأسطوري " فالهامة طائر يغشى المقابر وتسميه العرب (الصدى)، وقيل هو البومة. وكانت العرب تزعم أن روح القتيل الذي لم يدرك بثأره تصير هامة، فتزقو عند قبره وتقول: اسقوني، اسقوني. فإذا أُدرك ثأره طارت. وواضح أن الغرض من اختراع هذه الأسطورة حض القوم الذين قُتل لهم ولم يطلب بدمه على إدراك ثأره"(١) ، والرسول صلى الله عليه وسلم شبه نسمة المؤمن بالطائر حين قال" إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجرة الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه" (٢).

وتقترن "الهامة بالصدى غالباً عند العرب فبينهما علائق مشتركة فكل منهما له علاقة بالرأس والدماغ ويدلان على شدة العطش الذي يرتبط بالماء، ويرتبطان بالطير ويشتركان في الدلالة على الصوت والموت والليل والاختلاط، وقد لا يغني أحدهما عن الآخر لارتباطهما بالروح والنفس وهما أي الروح والنفس – واحد عند العرب غير أن الروح مذكر والنفس مؤنث، كما أن الهامة والصدى واحد غير أن الهامة أنثى والصدى ذكرها" (٣)

وقد وظف شعراء العصر الأموي مرجعية (الهامة والصدى) في كثيرٍ من أشعارهم خدمة لأغراضهم ومقاصدهم التي أرادوا الخروج بها من (وصف، ورثاء، وفخر، وغزل، وهجاء) ومن بينهم شاعر الصحراء (ذو الرمة)، ولعل أولى المناظر التي يوقفنا الشاعر عليها في رحلته الصحراوية منظر الهاجرة المحرقة برمالها ورياحها وصوت البوم طائر الليل المخيف، فيقول:(٤)

وَتيــهٍ خَبَطنــا غَولَهــا فَــارتَمى بِنــا أَبــو البُعــدِ مِــن أَرجائِهــا المُتَطــاوِحُ

فَــلاةٍ لِصــوتِ الجِــنِّ فــي مُنكَراتِهــا هَزيــزٌ وَلِلأَبــوامِ فيهــا نَــوائِحُ

وطولُ اغتماسي فـي الـدُّجا كلَّمـا دعتْ مـنَ اللَّيـلِ أصـداءُ المتـانِ الضَّـوابِحُ

إن مكمن العجائبي في هذه القصيدة هو التضاد بين عالمين وهميين خياليين يعيشها الشاعر بتفاصيل لا معقولة فهو يسير بغير هداية في عالم لا نهائي يحاول اختراقه لاكتشاف أسراره، فالشاعر يتبطن الصحراء محاولاً اجتياز خوفه من ذلك المكان الذي يملأه

(١) الأساطير في الشعر العربي القديم: ١٣٥.

(٢) سنن النسائي الكبرى، أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي ، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة ، (باب ارواح المؤمنين)، ٢٠١٥: ١ / ٦٥٥.

(٣) التوظيف الفني للمرجعيات في الشعر العربي قبل الاسلام : ١٨.

(٤) ديوان ذي الرمة:٨٧٨/٢.

صوت الجن المخترق سكون الصحراء وسكون الشاعر فيسمعه لوحده فيثير سطوة هواجسه وقلقه الذي يمثله صوت (البوم) طائر الليل المخيف الذي يوحي الى الموت والمصير المجهول [١]، إن دلالة النص توحي إلى عالم لا مألوف يسوده الوحشة والقلق في زمن الليل ذلك الزمن الذي تكثر فيه أصوات الهامة التي تزيد الجو رعباً وغرابةً وتبعث على الحيرة والتردد في نفس المتلقي ،كما تبعث على التساؤل كيف بإنسان طبيعي قادر على تقبله والعيش فيه إلا إذا كان إنسان يتمتع بقدراتٍ تفوق قدرات البشر.

ويستثمر الشاعر توبة بن الحمير، أسطورة (الصدى) ويخرجها عن المألوف ويجعل منها سبيل تواصل مع حبيبته ليلى الأخيلية بعد الموت، لاسيما وأنه كان مدركاً ان صوته لن يكون مسموعاً لديها وأن (صداه) سيبقى يلهج باسمها حتى تسمعه او تشعر به، إذ يقول: [٢]

وَلَــوْ أَنَّ لَيْلَــى الأَخْيَلِيّــةَ سَــلَّمَتْ عَلَــيَّ وَدُونِــي جَنْــدَلٌ وَصَــفَائِحُ[*]

لســلمت تســليم البشاشــة أو زرقــا إليهـا صـدى مـن جانـب القبـر صـائح

يكمن العجائبي في قول الشاعر (ولو ان ليلى الأخيلية سلمت ....)؛ إذ إنه يسمع صوت حبيبته ويرد عليها السلام وان كان الحائل بينهم الحجارة الضخمة ،أو إن صدى صوته سوف يرد عليها من جانب القبر، فمن غير المعقول أن تسمع الأموات أصوات الأحياء، ولكن الشاعر قد عمد الى الأفكار الخيالية والغريبة من شدة شوقه وتعلقه وتوقه للقاء محبوبته على الرغم من ان الموت كان حائلاً بينهما، دون ان يكونا قادرين على الوقوف بوجهه، وما دفع الشاعر إلى استثمار أسطورة (الصدى)، لتكون سبيل تواصلهما بعد الموت " إلا ترسبات المعتقد الجاهلي في ان روح الميت تبقى حية لا تموت، وتسمع أصوات محبيها، ومن هنا كانوا يواظبون على زيارة قبره حاملين له حصته من طعامهم وشرابهم. مناجين باسمه". [٣] ولا زالت مثل هذه العادات باقية حتى يومنا هذا.

---

(١) ينظر : الرؤية في شعر ذي الرمة ،د. آن تحسين محمود الجلبي ، دار ومكتبة بسام للطباعة والنشر، العراق، الموصل، ٢٠٠٨ م:٤٠

(٢) ديوان توبة بن الحمير الخفاجي ، تحقيق، د، خليل إبراهيم العطية ،دار بيروت،ط١، ١٩٩٨م،٢٠١٧م:٤٧.

(*) جندله: صرعه، الصفائح: الحجار العراض توضع على القبور.

(٣) أثر التراث الجاهلي في الشعر الأموي حسين عبد حسين، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها إشراف، د. حاكم حبيب الكريطي،٢٠٠٧م: ٩٠.

الخاتمـــة

خلصنا في نهاية بحثنا هذا من خلال ذكر الكائنات العجائبية ومدى فاعليتها في النص الشعري لدى شعراء العصر الأموي إلى نتائج عدة منها:-

١-البعد العجائبي يتحقق في الشعر كما تحقق في النثر من قصة ورواية ومسرحية.

٢- يتشكل الحدث العجائبي ضمن التفسيرات فوق الطبيعية التي تكمن في الكائنات الماورائية كالشياطين والجان ومن الكائنات العجائبية الخرافية كالغول والسعالي والهامة والصدى ومدى الاعتقاد بقدراتهم والتي تتشكل من تفسيرات عقلية ناتجة عن الخوف والقلق الذي يواجهه الإنسان في ذلك الزمن فيلجأ إلى الأحلام والإلهام الشعري هروباً من الواقع.

٣-ارتبط الشعر بالأسطورة حيث وظف العديد من الشعراء المعتقدات الأسطورية في شعرهم لغرض استجلاء فكرة محددة، فقد ارتبطت الأسطورة بالعجائبي بما اشتملت عليه من خروج عن المألوف.

٤- يستمد العجائبي مصادره من عدة أنواع ومنها الخرافات والمعتقدات التي تجلت في تلك الكائنات العجائبية وعوالمها الغيبية والماورائية وقدراتهم فوق الطبيعية.

٥- عمدوا الشعراء إلى إستثمار القصص العجائبية في نصوصهم الشعرية لاستثمار دلالاتها الطبيعية وإنتاج دلالات أخرى فوق الطبيعية، وسردها في نصوصهم وفق رؤيتهم الفنية.

٦-تنوع البعد العجائبي في النصوص الشعرية التي تناولها شعراء العصر الأموي بتنوع دلالاتها ومرجعياتها، إذ يعمد الشاعر إلى توظيف عنصر العجائبي في نصه الشعري بأوجه متعددة، وأغراض شعرية متنوعة (كالفخر، والغزل، والرثاء، والوصف) وفق تصورهم ورؤاهم الخاصة، متذرعين بالعجائبية التي حملت خيالاتهم، وحلقت بهم في عوالم اللامعقول والخيالي التي يرومون بها إثارة دهشة المتلقي وحيرته إزاء تلقي النص ،وكسر أفق توقعه ،والتردد في تقبله.

ثبت المصادر

- أثر التراث الجاهلي في الشعر الأموي حسين عبد حسين، جامعة الكوفة ، كلية الآداب ،أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، بإشراف، د. حاكم حبيب الكريطي،٢٠٠٧م.
- الأدب العجائبي والعالم الغرائبي: في كتاب العظمة وفن السرد العربي: كمال أبو ديب، دار الساقي، دار اوركس، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
- الأساطير في الشعر العربي القديم: د. إحسان النص، ٢٠٠٨م.
- الأسطورة عند العرب في الجاهلية: حسين الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات
- والنشر، ١٩٩٨م.
- البيان والتبيين: الجاحظ ابو عثمان عمرو بن بحر، تعليق،: جميل جبر، المطبعة الكاثوليكية،-بيروت-لبنان، ١٩٩٥م.
- تاج العروس: محمد مرتضى الزبيدي، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٦هـ.
- التوظيف الفني للمرجعيات في الشعر العربي قبل الإسلام: سامي جاسم محمد. كلية الآداب -جامعة الموصل أطروحة دكتوراه فلسفية في الادب العربي، إشراف :مؤيد محمد صالح اليوزبكي، ٢٠٠٨م.
- جمهرة اشعار العرب، أبو زيد القرشي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار النهضة، مصر، القاهرة.
- حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد موسى الدميري ، تصنيف أسعد الفارس ، دار طلاس للترجمة والنشر، دمشق ، ١٩٩٢م.
- الحيوان: ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي-القاهرة.
- ديوان أبي النجم العجلي، تحقيق، د. محمد اديب عبد الواحد، مطبوعات مجلة اللغة العربية، دمشق،٢٠٠٦م.
- ديوان توبة بن الحمير الخفاجي، تحقيق، د. خليل إبراهيم العطية، دار النشر، دار صادر بيروت، ط١ ،١٩٩٨م.
- ديوان جرير، بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: الدكتور نعمان محمد امين طه، الطبعة الثالثة، الجزء الثاني، دار المعارف ،٢٠٠٩م.
- ديوان ذو الرمة: شرح الإمام ابي نصر الباهلي، تحقيق: عبد القدوس ابو صالح، مطبعة طربين -دمشق، ١٩٧٢م.
- ديوان الراعي النميري: شرح وضاح الصمد، دار الجيل ،بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

- ديوان الفرزدق: تحقيق علي فاعور، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان،١٩٨٧م.
- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ١٩٧٧ .
- رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية: مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٩٩٧.
- الرحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتلقي: خالد التوزاني، دار السويدي للنشر والتوزيع، ابو ظبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيرون– لبنان، الطبعة الاولى، ٢٠١٧م.
- الرؤية في شعر ذي الرمة: د. آن تحسين محمود الجلبي دار ومكتبة بسام للطباعة والنشر–العراق–الموصل ٢٠٠٨، م.
- السرد الغرائبي والعجائبي في الرواية و القصة القصيرة في الأردن من ١٩٧٠– ٢٠٠٣، سناء شعلان، الطبعة الثانية، دار الجسرة الثقافي الاجتماعي، ٢٠٠١٦م.
- سنن النسائي الكبرى، أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي ،تحقيق، حسن عبد المنعم شلبي ، مؤسسة الرسالة ،(باب ارواح المؤمنين)،٢٠١٥ م.
- شرح ديوان حسان بن ثابت: تحقيق: عبد الرحمن البرقوني، دار، الاندلس، ١٩٩٠م.
- شعر ابن مقبل ، قلق الخضرمة بين الجاهلي والاسلامي دراسة تحليلية نقدية، عبد الله الفيفي، دار الكتاب العربي .
- الشعراء الصعاليك في العصر الأموي: حسن عطوان، دار المعارف، ١٩٧٠م.
- شعراء أمويون: دراسة وتحقيق: د. نوري حمودي القيسي، جامعة بغداد، ١٩٧٦م.
- شعراء الجن في التراث العربي الإسلامي، د. عبد الله سليم الرشيد، كتاب المجلة العربية، العدد ١٨٦، الرياض، ١٤٣٣هـ.
- شياطين الشعراء: احمد محمد الحوفي، مجلة الرسالة، العدد ٨٥٣، ١٩٤٩م.
- شياطين الشعراء، دراسة تاريخية نقدية مقارنة، تستعين بعلم النفس: الدكتور عبد الرزاق حميدة، جامعة القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الأولى، مصر، دار النشر، كلية دار العلوم .
- الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نؤاس، ساسين عساف، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٢.
- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: الأمام زكريا بن محمد بن محمود الكوفي القزويني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى،١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
- العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد: حسين علام ، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الأختلاف، ٢٠٠٨م.

- العجائبي في السرد الشعري الحديث (في المنتصف الثاني من القرن العشرين): د. أمل بنت محمد العتيبي، دار كنوز المعرفة، الأردن –عمان، الطبعة الأولى، ١٤٤٤هـ–٢٠٢٣م.
- العجائبي في الشعر الجاهلي، ايناس سلمان عبد المجيد سليمان، أطروحة دكتوراه، أللغة العربية، الأدب العربي، إشراف، د. نصرت صالح يونس، كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة الموصل، ٢٠٢٢م.
- العجائبي في الشعر العربي القديم: د. آن تحسين الجلبي، دار غيداء، للنشر والتوزيع، الأردن ،الطبعة الأولى، ٢٠١٧.
- العجائبي والسرد العربي النظرية بين التلقي والنص: لؤي علي خليل، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٤م.
- الفرزدق وابليس: سعاد المانع، مجلة فصول، قراءة في الشعر العربي القديم، الهيئة المصرية العامة للكتابة، المجلد ١٤، العدد الثاني،١٩٩٥م.
- في طريق المثيلوجيا عند العرب، بحث مسهب في المعتقدات والأساطير العربية قبل الإسلام: محمد سليم الحوت، الطبعة الأولى، ١٩٥٥م.
- لسان العرب: ابن منظور، اعداد وتصنيف : يوسف خياط ، دار لسان العرب –بيروت، الطبعة الثالثة،١٤١٤هـ مادة ،جنن.
- المخلوقات الخرافية في الشعر الجاهلي: عبد الرزاق خليفة الدليمي، كلية اللغات، جامعة بغداد، مجلة المورد، العدد الرابع، ١٩٩٨.
- مرجعيات شعر الفرزدق: د. خالد فارس خليل الطائي، عمان، دار غيداء، الطبعة الأولى،٢٠٢١م.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر: ابو الحسن المسعودي، تحقيق: يوسف اسعد داغر، دار الأندلس للطباعة والنشر –بيروت–لبنان–الطبعة الرابعة، ١٩٨١م.
- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: سعيد علوش، دار الكتب ، بيروت –لبنان ، ١٩٨٥م.
- الملائكة والشياطين والجان في الأدبين الجاهلي والإسلامي، دراسة مقارنة بين الخرافة في الشعر الجاهلي والحقيقة القرآنية: إسلام هاشم دباغ، جامعة البهشي، ٢٠١٧م.